رسالة في تحقيق خلق الاعمال بسم الله الرحمن الرحيم من افادات المحقق العلامة صدر الحكماء الشيرازي

سبحان من تنزه عن الفحشاء ولا يجري في ملكه الا ما يشاء والصلوة على صاحب الشريعة البيضاء وآله
مصابيح الدجى اعلم ايها الخائض في لجج هذا البحر العميق بقوة الايمان والتحقيق ان مسئلة القدر من اغمض
من الغوامض التي تحيرت فيها الافهام واضطربت فيها اراء الانام وليس لنا رخصة في افشاء سرها بالكلام
لكنا ننقل مذاهب ذهبت فيها علماء الاسلام ثم نشير الى المعنى بتيسيره من طريق اهل الله عليهم السلام فنقول ذهب
جماعة الى ان الله اوجد العباد واقدرهم على بعض الافعال وفوض اليهم الاختيار فهم مستقلون بايجادها
على وفق مشيتهم وطبق قدرتهم وزعموا انه اراد منهم الايمان والطاعة وكره منهم الكفر والمعصية قالوا
وعلى هذا يظهر امور منها فائدة التكليف بالاوامر والنواهي وفائدة الوعد والوعيد ومنها استحقاق
الثواب والعقاب ومنها تنزيه الله تعالى عن ايجاد القبائح والشرور التي هي انواع الكفر والمعاصي وعن ارادتها
ولكنهم غفلوا عما يلزمهم فيما ذهبوا اليه من اثبات الشركاء لله في الايجاد حقيقة والتشبه في انه تشنع من جعل

الاصنام

الأصنام شفعاء عند الله وأيضاً يلزم منهم أن ما أراد ملك الملوك لا يوجد في ملكه ولا يكون موجوداً فيه وذلك نقصان شنيع في السلطنة والملكوت تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وذهبت طائفة أخرى إلى أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى عن الشريك في الخلق والإيجاد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها بالنسبة إليه بل يحسن منه كل ما يفعل في ملكه لأنه يفعل في ملكه لا في ملك غيره وهذه الأسباب التي ارتبط بها وجود الأشياء بحسب الظاهر ليست أسباباً بالحقيقة ولا مدخل لها في الوجود لشيء بل إنما هي أسباب عادية جرت سنة الله وعادته بأن يوجد تلك الأسباب ثم يوجد عقيبها مسبباتها وكلها صادرة منه ابتداء من غير ترتب بعضها على بعض وتوقف بعضها على بعض وفي القول في ذلك تعظيم لقدرة الله تعالى وتقديس لها عن شوائب النقصان في الحاجة إلى الغير ولا شك أن هذا المذهب فيه إبطال للحكمة والترجيح وعزل للعقل عن قضاياه وسد لإثبات الصانع وغلق لأبواب الفكر وأيضاً فيما ذكروه تجويز للظلم على الباري ووضعه للأشياء في غير مواضعها حتى أنه يجوز عليه عندهم تعذيب الأنبياء عقلاً وتكريم الكفار في دار القرار واتخاذ الصاحبة والولد والشريك إلى غير ذلك من المفاسد القبيحة التي بناها على إبطال الحكمة والعقل وفي إبطاله إبطال النقل أيضاً لأن إثبات النقل إنما يكون بالعقل تعالى الباري القيوم عما يقولون علواً كبيراً وذهب آخرون إلى أن الله تعالى قادر على كل الأشياء لكن الأشياء في قبول الوجود متفاوتة فبعض منها لا يقبل الوجود إلا بعد وجود الآخر كالعرض الذي لا يوجد إلا بعد وجود الجوهر وكالمركب الذي لا يوجد إلا بعد البسيط فقدرته تعالى في غاية الكمال تفيض الوجود على الممكنات بحسب قابلياتها المتفاوتة فبعضها صادر عن قدرته بلا سبب وبعضها بواسطة أسباب وليس في ذلك لزوم الاحتياج له تعالى في إيجاده ذي الوسط إلى ذلك الوسط حتى يكون توسطه كالآلة فيمن يفعل شيئاً بالآلة كفعل الكتابة بالقلم والإحساس بالحس حاشا القيوم عن ذلك وكيف يتصور ذلك في حق من يصدر عنه السبب المتوسط وذو السبب جميعاً فهو مسبب الأسباب من غير سبب فالله سبحانه يوجد الممكنات على أبلغ النظام وأفضل الوجود فالصادر منه إما خير محض كالملائكة ومن والاهم وأما ما يكون الغالب فيه الخير على الشر فيكون الخيرات داخلة في قدرة الله تعالى بالأصالة والشرور اللازمة للخيرات التي من القسم الثاني للخير داخلة فيها بالتبع ومن ثم قيل إن الله يريد الكفر والمعاصي الصادرة عن العباد لكن لا يرضى على قياس من لسعت الحية إصبعه يختار قطعها بإرادته لكن بتبعية إرادة السلامة للشخص ولولاها لم يرد القطع أصلاً فيقال هو يريد السلامة ويرضى بها ويريد القطع ولا يرضى به إشارة إلى هذا الفرق الدقيق وأنت تعلم أن هذا المذهب أصح من الأولين وأسلم من المفاسد وأصون عند ذوي البصائر النافذة على حقائق المعارف وقواعد العقائد فإنه متوسط بين الجبر والتفويض وخير الأمور أوسطها وذهبت طائفة أخرى وهم الراسخون في العلم أن الموجودات على تفاوتها وترتبها في الشرف الوجودي وتخالفها في الذوات والأفعال وتباينها في الصفات والآثار يجمعها حقيقة واحدة إلهية جامعة لجميع حقائقها ودرجاتها وطبقاتها مع أن تلك الحقيقة في غاية البساطة والأحدية ينفذ نوره في أقطار جميع الموجودات من السموات والأرضين لا ذرة من ذرات الأكوان الوجودية إلا ونور الأنوار محيط بها وقاهر عليها وهو قائم على كل نفس بما كسبت وهذا الذي ذهبنا إليه مما أقيم عليه البرهان طبق ما شاهده بالبصيرة والعيان فإذن كما أنه ليس شأن إلا وهو شأنه فكذلك ليس فعل إلا وهو فعله ولا حكم إلا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يعني كل حول

حول وکل قوة قوته فهو مع علوه وعظمته ینزل منازل الاشیاء ویفعل فعلها کما انه تعالی مع غایة تجرده
وتقدسه عن جمیع الاکوان لا یخلو منه ارض ولا سماء کما قال امام الموحدین علی علیه السلم مع کل شیء لا بمقارنة وغیر کل شیء
لا بمزایلة فاذا تحقق هذا المقام ظهر ان نسبة الفعل والایجاد الی العبد صحیح کنسبة الوجود والتشخص الیه من الوجه الذی ینسب
الیه تعالی فکما ان وجود زید بعینه امر متحقق فی الواقع وهو شأن من شؤون الحق الاول ولمعة من لمعات وجهه فکذلک هو
فاعل لما یصدر عنه بالحقیقة لا بالمجاز ومع ذلک ففعله احد افاعیل الحق الاول بلا شوب قصور ونسبته تعالی الواحد القیوم
عن شبهة النقص والشین الیه فالتنزیه والتقدیس بحاله فان التنزیه والتقدیس یرجع الی مقام الاحدیة التی یستهلک فیه کل شیء
وهو الواحد القهار الذی لیس احد غیره فی الدار والتشبیه راجع الی مقامات الکثرة والمعلولیة والمحامد کلها راجعة الی وجهه
الاحدی وله عواقب الثناء والتقدیس وذلک لان شأنه افاضة الوجود علی الکل والوجود کله خیر محض وهو المجعول والشرور
اعدام والاعدام غیر مجعولة وکذا المهیات ما شمت رائحة الوجود فعین الکلب النجس وجوده الفائض عنه تعالی علیه طاهر وان کان
نجس العین من حیث ماهیته وعینه الثابتة لا من حیث وجوده لان الظاهر الاصل کالنور الشمسی الواقع علی القاذورات والارواث
فانه لا یخرج عن نورانیته وضیائه وصفائه لوقوعه علیها ولا یتصف بصفاتها من الرائحة الکریهة والکدورة الشدیدة فلذلک
کل وجود وکل اثر وجود من حیث کونه وجودا او من حیث کونه اثر وجود خیر وحسن لیس بشر ولا قبیح ولکن من حیث نقصه عن التمام شر ومن حیث
منافاته لخیر آخر قبیح وکل من ذلک راجع الی نحو عدم والعدم غیر مجعول لاحد فالحمد لله العلی الکبیر فهذا حاصل هذا المذهب
ولا شبهة فی انه عظیم الرتبة شدید المنزلة لو تیسر الوصول الیه لاحد ینال الشرف الاعلی والبهجة الکبری وبه یندفع جمیع
الاشکالات والشبه الواردة علی خلق الاعمال وبه یظهر معنی کلام الامام علیه السلم لا جبر ولا تفویض بل امر بین امرین اذ لیس
المراد به نفی فعل العبد ولا ترکیبا بین الجبر والاختیار ولا معناه ان فیه خلوا عن الجبر والاختیار ولا ایضا ان العبد اختیار
ناقص وجبر ناقص ولا انه اختیار من جهة واضطرار من جهة اخری ولا انه مضطر فی صورة الاختیار کما وقع فی عبارة الشیخ ابی علی
رحمه الله بل المراد انه مختار من حیث هو مجبور ومجبور من حیث هو مختار بمعنی ان اختیاره بعینه اضطراره ولنذکر لهذه
المذاهب الثلثة مثالا فنقول مثال المذهب الاول کالحرارة الناریة ومثال المذهب الثانی کالبرودة المائیة ومثال المذهب الثالث
وهو قول من یقول ان الفعل للفاعل القریب کالعبد یحکم علیه بانه مختار واذا نسب الی جمیع الاسباب السابقة علیه وسلسلة
الموجودات السالفة یحکم علیه بانه مجبور علیه کالکیفیة التی فی الماء الفاتر فانه لیس بحار ولا بارد بل فیه حرارة ضعیفة وبرودة
ضعیفة ومثال المذهب الرابع کحال الفلک عند المحقق فان التحقیق ان الفلک جامع لهذه الکیفیات علی وجه البساطة
بمعنی ان کیفیة واحدة بسیطة توجد فیها کل کیفیة توجد فی العناصر متفرقة لنقص وجود العنصر فحرارة السماء لیست ضد
برودتها وبالعکس وکذا رطوبتها لیست ضد یبوستها وبالعکس بل الجمیع واحدة بسیطة ولیس الفلک کالمعتدل العنصری
الذی یوجد فیه الکیفیات مکسورة الشدة لانه شدید القوی لکمال صورته الفلکیة الخارجة عن جنس هذه الصور ذاتا وکیفیة
وانت ایها الراغب الی تحقیق الحق الساعی الی ساحة عالم التقدیس لا تکن ممن اتصف بلوثة التشبیه المحض ولا بجهولة التنزیه
الصرف ولا بحشویة الجمع بینهما کمن هو ذو الوجهین بل کن متعبدا بسکان صوامع الملکوت الذین هم من العارفین
لیست لهم شهوة لوثة التشبیه ولا غضب کدورة التنزیه ولا الخلط ولا الامتزاج بین وانما هم من اهل الوحدة الجمعیة الالهیة

فان الله سبحانه عال في دنوه دان في علوه واسع رحمته كل شيء لا يخلو منه ارض ولا سماء هو معكم اينما كنتم ما من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الآية تمثيل ان اردت مثالا لان تعلم كيفية كون الافعال الصادرة عن
العباد هي بعينها فعل الحق لا كما يقوله الجبري ولا كما يقوله القدري ولا كما يقوله الفلسفي فانظر الى افعال الحواس والقوى
التي للنفس الانسانية التي خلقها الله مثالا له تعالى ذاتا وصفة وفعلا لقوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه
فان التحقيق عند النظر العميق ان فعل كل حاسة وقوة من حيث هو فعل تلك القوة فعل النفس فالابصار مثلا فعل البصر وكذا
السماع فعل السمع بلا شك لانه لا يمكن شيء منها الا بانفعال جسماني وهو بعينه فعل النفس بلا شك لا كما اشتهر في الحكمة
الرسمية ان النفس تستخدم القوة لكن يستخدم كاتبا او ناقشا والفرق بان الاستخدام هنا طبيعي وهناك غير طبيعي بل كما عرف
في مقامه من ان النفس بعينها تكون عينا باصرة واذنا سامعة وكذا تكون قوة باطشة في اليد وقوة ماشية في الرجل فبها يبصر
العين الباصرة وبها تسمع الاذن السامعة وبها يبطش اليد الباطشة وبها يمشي الرجل الماشية فالنفس مع تجردها وتنزهها
عن البدن وقواه لا يخلو منها جزء من اجزاء البدن عاليا كان او سافلا ولا يعوزها قوة من القوى بمعنى ان لا هوية للقوى
غير هوية النفس لكن للنفس هوية احدية عقلية جامعة لهويات سائر القوى والاجزاء تستهلك عندها وتضمحل لديها هويات
سائر القوى والاجزاء لانها محيطة بها قاهرة عليها منها مبدؤها واليها منتهاها كما ان النفس من الله منشؤها والى الله منتهاها
وكذا جميع الاشياء منه تبتدي واليه تعود وتصير فالنفس هي القلب المعنوي امير الحواس والجوارح فلا يكون من الجارحة فعل الا
بارادة النفس ولولا ارادة النفس كانت الجارحة جمادا لا حركة فيها ثم ارادة النفس كوجودها لا تنشأ من ذاتها فانما تنشأ من ارادة
الله التي هي عين ذاته وانما الله يخلق فيها ارادة ومشية وما تشاؤون الا ان يشاء الله فكما ينشأ من النفس في الباصرة شعاعا
تدرك به الالوان والاضواء وفي السامعة قوة تدرك بها الاصوات فكذلك يخلق الله في النفس ارادة وعلما تدرك وتعرف
في الامور وعند هذا التحقيق ينكشف سر قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فسلب الرمي منه صلى الله عليه وآله ومن حيث اثبت له
وكذا قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فنسب القتل اليهم والتعذيب الى الله بايديهم والتعذيب هناك عين القتل فهذا ما سنح
لي في مسئلة خلق الاعمال مما الهمني الله الملك الفعال عند تصادم الشكوك والاوهام وتراكم البدع والآراء في زمان شاع
فيه الجهل والاصرار لا بابانة وانتشر فيه الانكار والاستنكار للحق حيث يعد اكتساب العلوم الالهية من جملة الشين والعار وبالكار
المعارف الحقيقية يكتسب الجاه والافتخار ويكاد ان ينقرض اهل علم التوحيد من البلاد والديار ويحق القول عليهم بدعوة الحق
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولكل قهوة شاربون وعلى سكرهم سائرون وكل حزب بما لديهم فرحون
ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون وههنا تم تحرير الرسالة وختم حامدين لله مصلين على النبي وآله خير الانام

اللهم صل عليهم وسلم